المشترك اللَّفظي والتضاد في الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي التادلي

أ.م.د. ميعاد يوسف نصرالله الباحث. أحمد مدلول علي

كلية التربية الاساسية/ جامعة بابل

Co- Pronuncition and antonymy in The Morrocan Dore Al.Shaddali

Researcher. Ahmed Madlul Ali Ass. Prof. Dr. Meaad Yosof Nasralla

College of Basic Education\ University of Babylon

ah-y80@yahoo.com

ABSTRACT

This search is trying to detect the relationship between verbalism and contrast through study in a book lltadeli, Moroccan enthusiasm showed through the study of phenomena that every phenomenon of the role, which is different from the other, the contrast is not a branch of verbalism as seen by some scholars, but for all the phenomenon All role played and that poet's intent was supplied by word according to the context and the denominator.

Key words: Articles, Context, an thesis, concurrent **.**

الملخص:

إن هذا البحث هو محاولة للكشف عن العلاقة بين المشترك اللفظي والتضاد، وذلك عن طريق دراستها في كتاب الحماسة المغربية للتادلي، إذ تبين من خلال الدراسة للظاهرتين أن لكل ظاهرة دورها الذي تؤديه والذي يختلف عن غيره، فالتضاد ليس فرعا من المشترك اللفظي كما يرى بعض العلماء، بل لكل ظاهرة دورها الذي تؤديه وأن اللفظة التي يوردها الشاعر قد قصدها وفقا للسياق والمقام.

الكلمة المفتاحية: الدلالة، السياق، التضاد، المشترك اللفظي.

مقدمة:

اختلف بعض العلماء في ظاهرتي المشترك اللَّفظي والتضاد، فذهبوا إلى أنَّ التضاد يُعد فرعًا من المشترك اللَّفظي، يقول الهروي **(ت 434هـ)**: ((وإذا كان المشتركُ اللَّفظي يعني دلالة اللَّفظ على معنيين فأكثر، فإنَّ التضادَّ فرعٌ له؛ فقد وردت في اللُّغة ألفاظٌ أخرى يدل الواحدُ منها على معنيين أيضًا، ولكنَّهما على التضاد، واصطلح العلماءُ على تسميةِ هذه الألفاظ الواردة بالأضداد))[1].

ويرى أبو بكر الأنباري **(ت 328هـ)** في كتابه (الأضداد) إنَّ التضاد هو نوع من المشترك اللَّفظي، وهو يدخل فيه ويعد جزءًا منه[2].

وبناءً على ذلك ارتأيت أنْ أجمع الظاهرتين في مبحثٍ واحد؛ حتى أبين الفرق الدقيق بينهما في الدلالة، تاركًا العنان للسياق في بيان ذلك الفرق.

أولًا: المشترك اللَّفظي:

يُعرَّف المشترك اللَّفظي بأنَّه: اللَّفظ الواحد الدَّال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللُّغة[3]، ويمكن ملاحظة الاشتراك اللَّفظي للكلمات عن طريق تتبعها بحسب وجودها في السياق الذي ترد فيه، فالسياق هو من يُحدد معنى كلِّ لفظة، وفيما يأتي بيان لبعض الألفاظ التي تشترك بأكثر من معنى:

1 أسفار الفصيح : 1/ 354.
2 الاضداد : 98.
3 ينظر: الصاحبي: 269، والتعريفات، الجرجاني: 210.

أ: الهدى:

إنَّ من الألفاظ التي قيل باشتراكها في أكثر من معنى لفظة (الهدى)، والمعنى الأصلي للهدى هو: الإرشاد، فقد أرجع ابن فارس **(ت395هـ)** (الهدى) إلى الجذر اللُّغوي الثلاثي (هَدِيَ)، الدَّال على((التَّقدم للإرشاد... فقولهم: هديته الطريق هِداية، أَي تَقدمته لأرشده، وكلُّ مُتقدِّم لذلك هادٍ))[1]، وتدلُّ هذه اللَّفظة على معانٍ مشتركة، منها: دِين الإسلام، والحق، والإيمان...[2]، ونجد أغلب هذه المعاني حاضرة في كلام العرب وأشعارهم، فمثلًا في قول البحتري، نجد إنَّ لفظة (الهدى) دلَّت على معنى (الإيمان)، يقول:

حَتَّى انْتَهَيْت إلى الْمصلى لابساً ثوب الْهدى يَبْدُو عَلَيْك وَيظْهر[3]

إذ لو تأملنا السياق الذي وردت فيه لفظة (الهدى) سنجد إنَّ المعنى الوحيد المناسب لها هو (الإيمان)؛ لأنَّ الشاعر هنا يمدح المتوكل العباسي، ويصف حاله وهو في طريقه لأداء فريضة الصلاة بأنَّه وقور ومؤمن، وهذا الوقار والإيمان ظاهر وبادي في وجهه وفي حركاته.

ونجد معنى آخر للفظة (الهدى) وذلك في قول أبي تمام:

بيمن أبي إسْحَاق طَالَتْ يَد الْهدى وَقَامَت قناة الدّين وَاشْتَدَّ كَاهِله[4]

فلفظة (الهدى) هنا تحمل معنى مغايرا للمعنى السابق، فهي تعني (الإسلام)، والسياق هو من دل على ذلك المعنى، فمناسبة البيت تدور حول مدح الشاعر لأبي إسحاق، وذلك من خلال بيان دوره في الجهاد ومحاربة الكفر، إذ كان دوره كبير في توسع الدين الاسلام، وإعلاء رايته، وكل ذلك كان بفضل سيفه وجهاده.

وهناك معنى آخر دلَّت عليه لفظة (الهدى)، وهو (الحق)، وذلك في قول كثير بن عبد الرحمن:

أَرَاهُم منارات الْهدى مستنيرةً وَوَافَقَ مِنْهَا رشدها وصوابها[5]

فالشاعر هنا في سياق مدح الرسول محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، فهو يوضح أنَّ الرسول الكريم **(صلى الله عليه وآله وسلم)** قد جاء لهداية الناس إلى الإسلام والذي هو دين الحق، وقد نجح بذلك فقد أرى الناس منارات ذلك الحق بعد أنَّ كانوا يعيشون الباطل.

ج: السبيل:

ونجد الاشتراك اللَّفظي في لفظة أخرى هي لفظة (السَّبِيل)، فقد وردت بأكثر من معنى منها: الطَّاعة، والمَخرج، والخَلاص...[6]، فمعنى معاني (المخرج) قول أحد الأعراب، وكان قد دخل بعض الأمصار فأصابته تُخَمَةٌ من الطَّعام:

أقولُ بالمِصْر لَمّا ساءَني شِبَعي أَلا سبيلَ إلى أَرض بهَا جُوعُ

أَلا سَبيلَ إلى أرضٍ بهَا غَرثٌ يُنْقِي العِظام مِنَ الإنْقاءِ بُرْقوعُ[7]

وردت لفظة (سبيل) مرتين للدلالة على الخروج، وهذا ما واضح من السياق، فالشاعر يصف فيه حاله وهو في تخمة شديدة وقد أزعجته وأعيته تلك التُخمة، لذلك احتاج إلى (سبيل) أي (خروج) من هذا المصير إلى بلد آخر فيه فقر حتى لا يأكل مرَّة أخرى فتصيبه التخمة.

ومن معانيها أيضًا (الخلاص)، وهذا نجده في قول أبي سعيدٍ المخزومي[8]:

كَيفَ السَّبِيل إلى وردٍ خبعثنةٍ طلائع الْمَوْت فِي أنيابه العصل[1]

---

1 مقاييس اللُّغة : 42/6(هَدَيَ)
2 ينظر: التصاريف: 96-100.
3 الحماسة المغربية : 1/ 426
4 المصدر نفسه : 331/1
5الحماسة المغربية : 1/ 204
6 ينظر: التصاريف : 221-224 ، الوجوه والنظائر:261-264 .
7 الحماسة المغربية : 2/ 1287
8 أبو سعد المخزومي : هو عيسى بن خالد بن الوليد ، شاعر من أهل بغداد كثير الشعر جيده ، أدرك القرنين الثاني والثالث . يُنظر : (معجم الشعراء : 98).

فلفظة (السبيل) هنا بمعنى (الخلاص)، فالشاعر في هذا السياق يستنجد ويبحث عن طريق الخلاص، من ذلك الشخص (الخبعثنة) أي: ((الرَّجُلُ الضَّخْمُ الشَّديدُ))[2]، فهو لشدة خوفه منه نجده يبحث عن الخلاص منه.

ومن معاني لفظة السبيل (الطاعة)، من ذلك ما نجده في قول حسان بن ثابت وهو يرثي الرسول محمد(**صلى الله عليه وآله وسلم**)، ويصبِّر فاطمة (**عليها السلام**) على فراقه فيقول:

أَفاطِمُ إنْ جَزِعْتِ فَذاكَ عُذْرٌ وَإنْ لَمْ تَجْزَعي ذاكَ السَّبيلُ[3]

فالشاعر هنا يُخاطب فاطمة الزهراء (**عليها السلام**)، فيقول لها إذا جزعت على فِراق أبيك فأنتِ معذورة، وإذا لم تجزعي فإنَّ ذلك طاعة منك وصبر على قضاء الله.

د: قرن:

ومن الألفاظ التي لها دلالات مشتركة لفظة (قرن) والتي ذكرت معاجم اللُّغة بأنَّها من المشترك اللَّفظي[4]، فمن معانيها (العلوُّ) وهذا نجده في قول المتنبي:

وَصُولُ إلى المُسْتَصْعَبَاتِ بِخيلِهِ فَلَوْ كَإنَّ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأوْرَدَا[5]

فلفظة(القَرن) وردت هنا بمعنى العلوُّ، جاء في الصحاح: ((قَرْنُ الشمس: أعلاها، وأوَل ما يبدو منها في الطلوع))[6]، وهذا المعنى قد دلَّ عليه سياق الحال، فالشاعر هنا يمدح سيف الدولة الحمداني مبينًا شجاعته وإقدامه، فهو يستطيع أنْ يصل بخيله إلى المستصعبات، بحيث لو كان أعلى الشمس ماء لاستطاع أنْ يورد منه خيله.

ونجد معنى آخر للفظة (قَرن) في قول أبي محمد التيمي:

إذا مَا مَضى القَرْنُ الذي أنتَ فِيهِمُ وخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فانتَ غَريبُ[7]

حيث وردت لفظة قَرن هنا بمعنى (الأمة)، فـ((القَرْنُ من الناس أهل زمان واحدٍ))[8]، والشاعر هنا بيَّن أنَّ الإنسان إذا ترك الأمة التي كان يعيش فيها، ويتحول إلى أمة أخرى فإنَّه سيكون في تلك الأمة غريبًا.

وتأتي لفظة (القَرن) أيضًا بمعنى (الحبل) من ذلك ما نجده في قول أبي العلاء المعري، في مدح أبي سعيد الثغري حين خرج من عمورية إلى مكة:

فالحج والغزو مقرونان فِي قرنٍ فَاذْهَبْ فَأَنَت ذعاف الْخَيل وَالْإِبِل[9]

فالشاعر هنا أراد أن يُبين أنَّ أعمال ممدوحه هي واحدة في كلِّ المواقف سواء في الحرب، أو في السِلم، فهو كالذعاف، أي: السم القاتل للخيل والابل، في الحج وفي الغزو معًا، فهما مربوطان بحبل واحد.

و: الجناح:

يُعد الجناح أحد أعضاء جسم الإنسان، جاء في اللسان: ((جَناحُ الإنسان: يَدُه، ويد الإنسان: جَناحاه)) [10]، وقَالَ الزَّجّاج: ((معنى جَنَاحك (العَضُدُ)، وَيُقال: اليَدُ كُلُّهَا جَنَاحٌ،

والجَنَاحُ: الإبْطُ والجانب)) [1]، وقد وردت هذه اللَّفظة كثيرًا وبمعانٍ مختلفة، منها معنى (السَنَد)، وذلك في قول فاطمة بنت الأحجم:

---

1 المصدر نفسه : 2/ 670
2 تاج العروس : (خ ب ع ث) :34 / 478
3 الحماسة المغربية : 787/2
4 ينظر: لسان العرب (ق ر ن) : 331/13 .
5 الحماسة المغربية : 445/1.
6 تاج اللُّغة وصحاح العربية : (ق ر ن) : 4 /871 .
7 الحماسة المغربية : 2/ 1430
8 لسان العرب (ق ر ن) : 6 /753 .
9 الحماسة المغربية : 1/ 368.
10 لسان العرب (ن د ى) : 8 / 541 .

قَدْ كُنْتَ لي جَبَلًا أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرَدَ ضاحِ

قَدْ كُنْتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لي أَمْشِي البَرازَ وَكُنْتَ أنتَ جَناحِي[2]

فالشاعرة هنا ترثي أخاها، فتصفه بأنَّه كان جبلًا تحتمي به، والآن أصبحت من غير سندٍ حين ضعُف جانبها؛ بسبب موت من كان ينصرها[3].

ومن استعمالات (الجناح) معنى (السرعة في العدو)، فقد ضُرب مثلًا لخفة العدو وسرعة السير، فيقولون: (ركب جناحي النعامة)، أي: ذهب مسرعًا، ونجد هذا المعنى في قول الشماخ بن ضرار وهو يرثي عمر بن الخطاب:

فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَناحَيْ نَعامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بالأَمْسِ يُسْبَقِ [4]

فمعنى البيت هو أنَّ الذي يُكلِّف نفسه اللَّحاق بك فيما قدمتَ من البِر، يكون قد سبقته إليه، حتى وإنْ ركب جناحي نعامة' أي: مهما كانت سرعته فهو لن يصل إلى ما وصلت إليه من الأفضال.

وترد هذه اللفظة للدلالة على (القطعة من الليل) يقول البحتري:

هَل الْفَتْح إِلَّا الْبَدْر فِي الْأُفق المضحي تجلى فَأجلى اللَّيْل جنحًا على جنح[5]

الشاعر في هذا البيت يمدح الفتح بن خاقان، فيصفه بالبدر الذي يُجلي بضوئه قطع الليل المظلمة، أي: إنه إذا ظهر يَجلي جَنحًا جَنحًا من الليل، أي قطعة قطعة.

ز: العارض:

وردت لفظة (العارض) في الكلام العربي كثيرًا، وهي تحمل معانٍ عدَّة منها (المطر)، وذلك في قول أبي الطيب المتنبي وهو يمدح سيف الدولة:

وَمَا ثناك كَلَام النَّاس عَن كرمٍ وَمن يسدُ طَرِيق الْعَارِض الهطل[6]

فالعارض هنا يعني المطر، جاء في تاج العروس: ((العَارِضُ السَّحَابُ المَطِلُّ المَعْتَرِضُ فِي الأُفُقِ. وقال أبو زيد: العَارِضُ السَّحَابَةُ تراها في ناحية من السماء))[7].

وقد أراد الشاعر هنا وصف ممدوحه بأنَّه لا يُمكن أنْ يقف في طريق جوده أيُّ شيء حتى المطر الكثير الهاطل من السماء.

ونجد لهذه اللَّفظة معنى آخر وذلك في قول امرؤ القيس:

أصد نشاص ذِي القرنين حَتَّى تولى عَارض الْملك الْهمام[8]

فقد وردت هذه اللَّفظة هنا للدلالة على الجيش، فالشاعر في هذا البيت يمدح (المنذر بن ماء السماء)، فيصف شجاعته ومقاومته للجيش العارض الهمام أي: المُهاب، فقد صدَّهم وباعدهم إلى أنْ تولوا وهربوا أمامه.

ونجد لفظة (العارض) قد حملت معنى الأسنان وذلك في قول جرير:

أَتَنسَى يَومَ تَصقُلُ عَارَضِيها بِفَرع بَشامَةٍ سُقِيَ البَشَامُ [9]

الشاعر في هذا البيت استعمل لفظة (العارض) وقد قصد بها هنا (الأسنان)، جاء في لسان العرب:((العَارِضُ: السِّنُّ الَّتِي فِي عُرْضِ الفَمِ بَيْنَ الثَّنَايَا والأَضْرَاسِ))[10]، وهذه اللَّفظة قد كشف عن معناها السياق، فالشاعر يتغزل بمحبوبته وصيف أسنانها.

---

1 معاني القرآن : 1 /143.
2 الحماسة المغربية : 1 / 821.
3 خزانة الأدب :38/6
4 الحماسة المغربية : 2 / 790 .
5 المصدر نفسه : 408/1.
6 الحماسة المغربية : 1 / 455 .
7 تاج العروس : (ع ر ض) : 18 / 386 .
8 الحماسة المغربية : 1/ 120 .
9 المصدر نفسه : 2/ 938 .
10 تاج العروس (ع ر ض) : 18 / 388 .

مما تقدم نلحظ أنَّ الشعراء أوردوا ألفاظًا تشترك في المعنى الدلالي؛ فبيَّنوا مقدرتهم وبراعتهم في خلق الصور الدلالية مما يضع المتلقي على بيِّنة من تلك القيم الدلالية، وذلك من خلال استعمال اللَّفظة الواحدة بأكثر من معنى.

ثانيًا: التضاد:

يُعرَّف التضاد بأنَّه: اللَّفظ الواحد الدَّال على معنيين متضادين[1]، وللتضاد قيمة داخل السياق النصيّ، فهو((يجعل تفاعل المعاني، والأخيلة، والأحداث، والشخصيات محققًا في جوهر واحد يمثله المعنى، مما يسمح بإعادة ترتيب بنية النص وجعله أكثر تكاملاً وانسجامًا))[2]، وفيما يأتي بيان لبعض الألفاظ المتضادة الواردة في كتاب الحماسة المغربية:

أ: البلاء:

لو أخذنا لفظة (بلاء) في العربية سنجد أنَّ بعض العلماء عدها من الأضداد، جاء في كتاب الأضداد للأصمعي **(ت 216هـ):** ((البلاء يَكُونُ نِعمةً وَمِحنةً، ويكون نِقمةً ومِحنةً))[3]، فهي تحمل معنيين متضادين، ولو أنعمنا النظر في هذه اللَّفظة وقمنا بدراستها في سياقها سنجد التضاد حاضرًا فيها، يقول الإمام علي **(عليه السلام)** في مدح النبي محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم):**

ألم تَرَ إنَّ الله أبلى رَسُوله بلَاء عزيزٍ ذِي اقتدارٍ وَذي فضل[4]

فالسياق هذا البيت يدور حول ما كُلف به الرسول الكريم **(صلى الله عليه وآله وسلم)** من قبل الله تعالى وهو محاربة الكفر ونشر الإسلام يقول: بما أنزل الكفَّار دَار مذلةٍ فلاقوا هوانا من إسارٍ وَمن قَتِيل[5]

وهذا التكليف ليس تكليفًا هينًا أو بسيطًا، بل هو بالنسبة للرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)** محنة وشدَّة؛ لأنَّ محاربة الكفار بما يملكون من إمكانيات قتالية كبيرة يعد صعبًا عليه، لذا جاءت لفظة بلاء هنا تحمل معنى (المحنة)، والدليل على ذلك قول الشاعر: (عزيز مقتدر)، فكأنَّ الله تعالى أراد أنْ يُخبر رسوله الكريم بأنَّه يجب أنْ لا يخاف ولا يُبالي بما كلَّفه الله به وبما أنزل عليه من البلاء، فالله تعالى معه ولن يتركه؛ لأنَّه جلَّ وعلا قادر على النصر متمكن عليه، هذا من جانب.

ومن جانب آخر نلحظ أنَّ هذه اللَّفظة حملت معنى (النعمة)، وذلك في قول علي بن العباس الرومي:

أَبَا أَحْمد أبليت أمة أحمدٍ بلَاء سيرضاه ابْن عمك أَحْمد[6]

فلو نظرنا إلى السياق الذي وردت فيه لفظة (بلى) سنجده قد أضفى معنى آخر عليها، وهو معنى (النعمة)، والدليل على ذلك هو أنَّ العمل الذي قام به قد أرضى رسول الله محمد **(صلى الله عليه واله وسلم)**، فهو عمل فيه نعمة.

مما تقدم يُمكن القول إنَّ لفظة (بلاء)، قد تضمنت معنين متضادين هما المحنة، والنعمة، وقد أبان السياق هذين المعنيين المتنوعين.

ب: طرب:

ومن الألفاظ التي تحمل التضاد والتي أشار إليها علماء اللُّغة لفظة (الطرب) والتي تعني ((الخفَّةٌ من شدَّةِ سرور، أَو حزن))[7]، وقد جاءت هذه اللَّفظة بمعنى (الخفة) في قول أبي نُواس:

فَإِذا هُمُ رَأَوا الرَّغِيفَ تَطَرَّبوا طَرَبَ الصِّيامِ إلى أذان المغربِ[8]

1 ينظر: التعريفات:64.
2 قراء سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري ، بوقرة: 535 .
3 ثلاثة كتب في الأضداد: 59.
4 الحماسة المغربية : 1/ 42
5 المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
6 الحماسة المغربية : 1/ 437
7 الطراز: 245/2(ط ر ب)، وينظر: أدب الكاتب:18 .
8 الحماسة المغربية : 3/ 1387

فلفظة (الطرب) هنا حملت معنى الخفة من شدة السرور؛لأنَّ الشاعر في هذا المقام يصفُ فرح الجياع الكادحين، ويُبيِّن شدَّة فرحهم وعدم سيطرتهم على مشاعرهم من الفرح عند رؤيتهم الرغيف؛ بسبب ما يمرون به من جوعٍ شديدٍ؛ ولشدة ذلك الفرح شبَّه الشاعر فرحهم بفرح الصائم عند الإفطار. وعليه تكون هذه اللَّفظة قد حملت هنا معنى (الخفة من شدة السرور).

أما في قول الشريف الرضي فنجد اللَّفظة تحملُ معنى متضادًا للمعنى في البيت السابق، حيث يقول:

ثُمَّ انثَنَينا إذا مَا هزَّنا طَرَبٌ عَلى الرِّحالِ تَعَلَّلنا بذكراكِ [1]

فلفظة الطرب هنا أخذت معنى الخفة من شدَّة الحزن، إذ لو تأملنا سياق البيت الشعري سنجد أنَّه يدور حول شدَّة اشتياق الشاعر لمحبوبته، إذ يصف ذلك الاشتياق بصورة حزينة تُبين شدَّة لوعته، وحرارة اشتياقه لها، يقول:

سَهْمٌ أَصابَ وَراميهِ بِذِي سَلَمٍ مَن بِالعراق لَقَد أَبعَدتِ مَرماكِ [2]

فالموضع هنا هو موضع حزن، فهو من شدَّة حزنه وشوقه لها يهتز طربًا.

ج: شعب:

ومن الألفاظ الأخرى التي قيل بترادفها لفظة (شعب)، جاء في لسان العرب: ((الشعب: إنَّه يكونُ بمعنيين، يكون إصلاحًا، ويكون تفريقًا))[3]، وقد وردت هذه اللَّفظة بالمعنيين، فأمَّا معنى (الإصلاح)، فنجده في قول معقل بن ضرار:

والشاعب الصدع قد أعي تلاحمه وَالْأَمر تفتحه من بعد إغلاق [4]

فمعنى الشاعب هنا هو الإصلاح أو الاجتماع، والدليل على ذلك هو لفظة (صدع) والتي تعني تفرَّق، فـ((شعب الصدع في الإنَّاء: إنَّما هو إصلاحه ومُلاءمته، ونحو ذلك، والشعب: الصَّدع الذي يشعبه الشعاب، وإصلاحه أَيضًا الشعب))[5] ، فالشاعر هنا في سياق المدح، فهو يصف ممدوحه بصفات عدَّة منها: (ذا العلا، ذا السؤدد، ابن المجلى، الفاتح الغل)، فهو يشعب الصدع، أي: يُلأم المكسور، يقول:

إِلَيْك نشكو عراب الْيَوْم فاقتنا يَا ذَا الْعَلَاء وَيَا ذَا السؤدد الْبَاقِي

يَا ابْن المجلي عَن المكروب كربته والفاتح الغل عَنهُ بعد إيثاق[6]

أما المعنى المرادف للفظة الشعب فنجده في قول أحد الأعراب:

ثَلاثُ يُحَرِّمْنَ الْحَلالَ عَلى الفَتَى وَيَصْدَعْنَ شَعْبَ الدَّارِ وَهْوَ جَمِيعُ[7]

فلفظة الشعب هنا جاءت بمعنى التفريق؛ لأنَّ السياق هو الذي بيَّن ذلك، فالمناسبة التي قيل فيها البيت، هي إظهار الشاعر الندامة لتطليقه زوجته وافتراقه عنها حيث يقول:

نَدِمْتُ وَمَا تُغْني النَّدامَةُ بَعْدَما خَرَجْنَ ثَلاثًا مالَهُنَّ رُجُوعُ[8]

وبهذا يكون معنى الشعب هنا هو فراق؛ لأنَّ الطلاق يُحرِّم الحلال، ويُفرِّق شمل الدار.

د: وراء:

ومن الألفاظ الأخرى التي نجد فيها تضادًا كلمة (وراء) يقول حبيب بن أوس:

وكَأَنَّ فارسَهُ وَراءَ قَذالِهِ رِدْفٌ فَلَسْتَ تَراهُ مِنْ قُدَّامِهِ[9]

---

1 الحماسة المغربية : 1031/2
2 المصدر نفسه :2 / 1032.
3 لسان العرب : (ش ع ب) : 3 / 677
4 الحماسة المغربية : 1/ 210
5 لسان العرب (ص د ع) : 6 / 986
6 الحماسة المغربية : 210/1
7 المصدر نفسه : 2/ 1285
(8) الحماسة المغربية : 2/ 1285
(9) الحماسة المغربية : 2/ 1130

جاءت لفظة (وراء) في كتب الأضداد تحمل معنيين متضادين, فهي بمعنى خلف, وقُدّام [1]، وهنا جاءت بمعنى (خلف)، فالشاعر في هذا البيت يصف أحد الخيول الأصيلة بأنَّه ذات هيبة وفخامة، فهو لهيبته وضخامته لا يكاد يُميَّز رأسه عن رأس فارسه الذي يجلس وراءه، أي (خلف) قذاله' أي: رأسه.

أما المعنى الآخر الذي تحمله لفظة (وراء) هو (قدَّام)، من ذلك قول لَبيد:

أَلَيسَ وَرَائي إنَّ تَرَاخَتْ مَنِيَّتي لُزومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الأصابعُ[2]

فالشاعر هنا في سياق وصف حال الإنسان وما سيؤول إليه في النهاية، إذ سيأتي يوم عليه يكون فيه ضعيفًا محدودب القامة، أصابعه محنية على عصى يتوكأ عليها، وهذا اليوم هو ورائه أي (أمامه).

هـ: عنوة:

ونجد التضاد أيضًا في لفظة (عنوة)، فهي من الأضداد، إذ يقال: أَخذَ الشَّيْءَ عَنْوَة، إِذا أَخذه غَصباً وغَلَبَة، وأَخذه عنوة إِذا أَخذه بمحبَّة ورضًا من المأْخوذ منه[3].

وقد جاءت هذه اللَّفظة بمعنى اخذ الشيء بقوة في قول المتنبي:

خَضَعَتْ لِمنْصلِكَ المَنَاصِلُ عِنْوَةً وَأذلَّ دِيْنكَ سَائِرَ الأديان[4]

فالشاعر هنا يمدح سيف الدولة، ويبيِّن دوره في نشر الإسلام، فيذهب إلى أنَّ كلَّ السيوف قد خضعت لسيفه بالقوة، وأنَّه بسيفه قد أذلَّ جميع الأديان، وأعزَّ الدين الإسلامي.

في حين نجدها تأخذ معنى مضادًا، في قول كثير بن عبد الرحمن:

فَمَا تركوها عنْوَة عَن مودةٍ وَلَكِن بِحَدّ المشرفي استقالها[5]

و: تلعة:

ومن الألفاظ الأخرى الدَّالة على الشيء وضده لفظة (تلعة)، فـ((التلعة حرف من الأضداد، يُقال لما ارتفع من الوادي وغيره تلعة، ويقال لما جرى الماء فيه لانخفاضه تلعة))[6]، وقد وردت لفظة (تلعة) بمعنى الانخفاض في قول أبي تمام في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

أَبَا جعفرٍ أجريت فِي كل تلعةٍ لنا جعفراً من فيض كفيك سلسلا[7]

فالشاعر هنا أراد أنْ يُبيِّن كرم ممدوحه فوصفه بأنَّه كريم، وأنَّ كرمه يشبه الماء الذي يجريه الفلاح في الأرض المنخفضة (التلعة)، فكرمه يفيض على الناس كما يفيض الماء، فهو كرم متواصل متسلسل.

أما المعنى الآخر للفظة (تلعة) فنجده في قول كثير:

أَبَاحَتْ حِمّى لَمْ يَرْعِهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّت تِلاَعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ[8]

إذ قصد الشاعر بـ(تلعة) هنا المكان المرتفع وهذا ما بيَّنه السياق، فالسياق العام للبيت هو ذكر الشاعر لمحبوبته (عزة)، التي بلغت عنده مرتبة عالية لم يبلغها أحد.

فالشاعر هنا يأتي بلفظة عنوة للدلالة على ترك الشيء بمحبة، وهذا واضح من خلال السياق الذي بيَّن أنَّ أعدائه لم يتنازلوا عن الخلافة (عنوة)، أي: بمحبة، بل كان تنازلهم عنها بقوة السيف.

(1) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد: 20.
(2) الحماسة المغربية : 972/2
3 الأضداد، ابن الأنباري: 79.
4 الحماسة المغربية : 1/ 502
5 المصدر نفسه : 1/ 205
6 الاضداد : 3 /76
7 الحماسة المغربية : 340/1
8 المصدر نفسه : 1/ 944

مما سبق يتبين لنا أنَّ لظاهرتي التضاد والمشترك اللَّفظي حضور واسع في النصوص الشعرية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إنكارهما إذ لا تُخفى أهميتهما في إنَّتاج الدلالة المعجمية في النص الشعري، هذا من جانب، ومن جانب آخر نلحظ أنَّ منشئ النص قد ضمَّن نصه متضادات؛ ليعبر بها عن مقاصد تكمن في مخيلته، وكذلك كلمات مشتركة لفظيًا أدت دورًا فعالاً في خلق أنساق شعرية جديدة قادرة على استيعاب تصورات المتكلم التي تتناسق مع السياق الموجد لها.

من ذلك يمكن القول إنَّ للتضاد استقلاليته ودلالته الخاصة والتي تختلف عن المشترك اللَّفظي، فالتضاد ليس جزء من المشترك اللَّفظي، إنَّما هو ظاهرة متميزة.

الخاتمة:

اتضح من خلال دراسة التضاد والمشترك اللفظي أنَّ التضاد مختلف عن المشترك اللَّفظي، فهو ليس جزء منه، إنَّما هو ظاهرة متميزة، فهو يُعبَّر به عن معنيين متضادين مختلفين في المعنى، في حين يُعبَّر بالمشترك اللَّفظي عن معنيين أو أكثر ولا يشترط فيها تضاد المعنى.

المصادر:

- اسفار الفصيح، الهروي، تحقيق احمد عبد سعيد، المساهم:1420هـ.
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الكويت 1960م
- الأضداد في اللغة، د. محمد حسين آل ياسين، بغداد 1974 م.
- التعريفات: الجرجاني (ت 816هـ) أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (د.ت).
- ثلاثة كتب الأضداد؛ للأصمعي و للسجستاني و لابن السكيت، د. أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية – بيروت 1912م.
- الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، لأبي العباس التادلي (المتوفى: 609هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت ط 1، 1991م.
- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ)، مصر د ط، 1348هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1997م.
- الصحاح في اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت393هـ)، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، تصنيف نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، دار الحضارة، بيروت، الطبعة الأولى، 1974.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفريقي (ت711هـ)، مطبعة دار الحديث، القاهرة، د ط، 2003م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي (ت 745هـ)، منشورات مؤسسة النصر، مهران، طبع بمطبعة المقتطف بمصر 1332هـ . 1914م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، (ت1205هـ)، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر، سنة 1306هـ.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ت 311هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (1408هـ . 1988م).
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: هارون بن موسى (ت 170هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، (1409هـ . 1988م).